



جامعة الاسكندرية

مجلة كلية الآداب

العدد الثامن والأربعون

م ١٩٩٩/٩٨

6

20

1

تصدر " مجلة كلية الآداب " واصداراتها محكمة عن كلية
الآداب بجامعة الاسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة
على الآلة الكاتبة من ثلاث نسخ. ويجب ألا يزيد عدد صفحات
البحث على ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط مكتوبة على
الآلة الكاتبة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم
الأستاذ الدكتور / عثمان سئيمان موافى
وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
الشاطبي - الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

100
100
100

6

100

100
100

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور / محمد عبده محجوب

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د. / عثمان سليمان موافى

هيئة التحرير

أ.د. / محمد خميس الزوكة.

أ.د. طاهر سليمان حمودة.

أ.د. أميرة حسن نويرة.

أ.د. ضحى محمد شيحة.

أ.د. حمدى عبد المنعم.

أ.د. ماهر عبد القادر محمد.

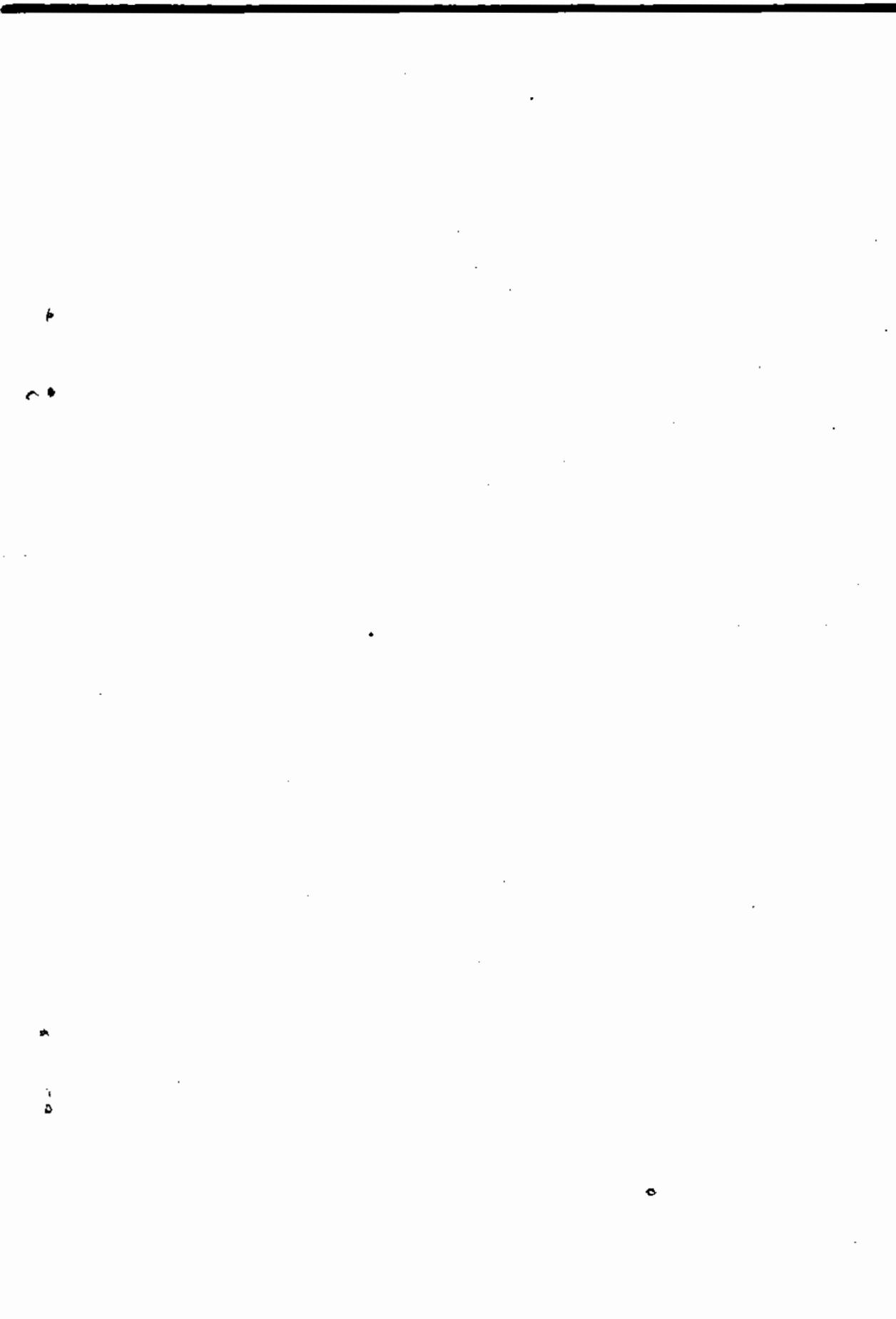
أ.د. السيد عبد العاطى السيد.

أ.د. محمد عباس إبراهيم.

أ.د. عزت قادوس.

أ.د. سهام محمد القارح.

د. مجدى أحمد عبد الله.



الصفحة	المحتويات
١	١- أ.د. عثمان سليمان موافى توفيق الحكيم الناقد الأدبي
٢٧	٢- أ.د. مصطفى الصاوي الجويني نسيج الحكمة والصورة والنغم فى البلاغة الشعبية
٥٧	٣- أ.د. عزة كـرارة المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر كما تراه صوفيا بول ولوسى داف - جوردن
٨١	٤- د. إبراهيم عبد العزيز زيادى محددات التوزيع الجغرافى للعمران فى البحرين «مدينة عيسى نموذج للنمو العمرانى»
١١٧	٥- أ.د. عبد الرحمن العيسوى الدكتور أحمد عزت راجح مؤلفاته، فلسفته، حياته، شخصيته.
١٨١	٦- د. محمد صالح الضالع اختلاس الصوائت القصيرة (الحركات) فى تلاوة القرآن الكريم
١٩٩	٧- د. ليلى عبد المنعم الأنانية فى مأساتى الكستيس وميديا ليوربيديس
٢١٩	٨- د. عمر الحديدى مشكلة الألغام فى الصحراء الغربية وموقف القانون الدولى منها.
٢٣٥	٩- د. مصطفى فتحى أبو شارب منحى أبى الشيعى الخزاعى فى التجديد الشعرى
٢٦٩	١٠- د. فريد عوض حيدر التضمين التمولى فى ضوء الدرر اللغوى

شعر مأساة العمى عند الشعراء المكفوفين فى القرن
الثانى الهجرى

Dr. Fayez Mohammed El Essawy

Geographic Differentials of Fertility levels
in Some Villages of the Newly Reclaimed
Area of Sugar Beet, South of Alexandria.

1

Dr. Mervat Mohamed Ahmed Fashal

Some of the Vocal Emotional States An
Acoustic Study

29

Africa and Africans in Harriet Beecher
Stowe's

63

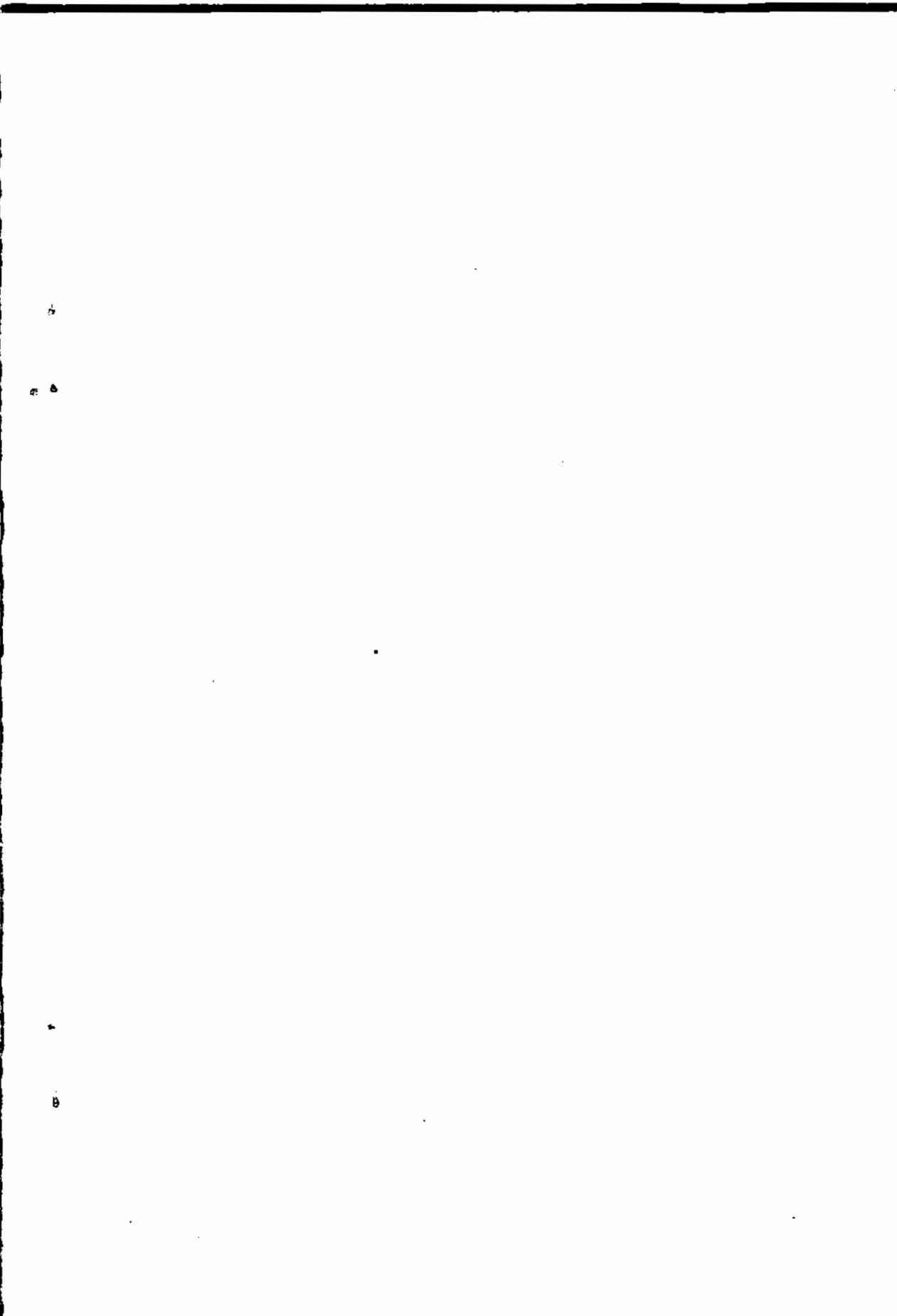
Dr. Essam M. Abdel Razek

New Light on the Gazelle in Egypt from
Prehistory until the New Kingdom.

81

توفيق الحكيم الناقد الأدبي

أ.د. عثمان موافى



(توفيق الحكيم الناقد الأدبي)

١٨٩٨م - ١٩٨٧م.

إن من أقوى العوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة الأدبية والنقدية في مصر، في النصف الأول من القرن العشرين، ظهور طائفة واعية من الأدباء والنقاد^(١)، لم تقتصر في قراءاتها على الثقافة العربية وحدها، بل نهلت من ثقافات أخرى، غير عربية، وعلى رأسها الثقافة الأوروبية.

ويرجع الفضل الأكبر إلى هؤلاء الأدباء في توجيه الأعمال الأدبية نحو قضايا الإنسان، والانتقال بالأدب العربي من النطاق المحلي، إلى النطاق العالمي والإنساني.

ولا شك أن اتصال الأدب بأكثر من ثقافة، يوسع من آفاق معرفته، ويعمق إبداعه الأدبي.

ويعد توفيق الحكيم واحداً من هؤلاء الأدباء، الذين لم تقتصر قراءاتهم على الثقافة العربية وحدها بل امتدت أنظارهم إلى ثقافات أخرى كالثقافة الفرنسية.

ومن المعروف أن هذه الثقافة تحمل بين طياتها، مذاهب واتجاهات أدبية وفكرية متنوعة، وأتواقا متباينة^(٢).

وقد تركت أثراً عميقاً، في فكر توفيق الحكيم وفي أدبه.

(١) مثل طه حسين، ومحمد حسين هيكل، والمازني، والعقاد وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، ومحمد منور، ولويس عوض.

(٢) توفيق الحكيم - تحت شمس الفكر ص ١١٨ - ١١٩.

ويبدو هذا واضحاً من قوله محمداً أهم الدوافع التي دفعت به إلى كونه مسرحية شهرزاد (كانت موجهة للإلحاد وإنكار الدين بغمر المحيط الثقافي الأوربي، عندما ذهبت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى

وقد صدم هذا العقلية الشرقية المتدينة التي أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متنفساً لها في كتابه شهرزاد، شهريار فيها يمثل النموذج الذي أرادت الفلسفة الأوربية، أو أراد أن يتحرر فيها، فهو يبحث عن المعرفة من أي طريق، وينكر العاطفة إنكار تاماً وهو يهرب من أسانيته بالرحيل والتجوال، وأحياناً بالذهاب إلى حانات الأفيون كان يريد أن يترك الأرض بضعفها البشري ويطلق في السماء)^(١)

ويبدو هذا بوضوح، من الحوار الأتي الذي أجراه بين شهريار . وشهرزاد

شهريار . ليس في الحياة من جديد استنفدت كل شيء

شهر زاد . الطبيعة كلها ليس فيها لذة تغيرك بالبقاء

شهريار . الطبيعة ليست سوى سجان صامت يضيق على الخناق

شهر زاد . أقسم أنك جننت . أجهدت عقلك حتى اضطرب أي سر تبحث

عنه أيها الأبله؟؟

ألا تراك تضيع عمرك الباقي وراء حب استطلاع خادع

شهريار . ما قيمة عمري الباقي؟ لقد استمتعت بكل شيء وزهدت في كل

شيء.

شهر زاد : وهل تحسب هذا هو السبيل إلى ما تطلب؟؟

بل من أدراك أن ما تطلب موجود؟؟

(١) أحاديث شهرزاد ص ٦٥-٦٦ ط - الاهرام

أترى شيئاً فى ماء هذا الحوض؟ أليست عيناي أيضاً فى
صفاء هذا الماء؟ أتقرأ فيها سرّاً من الأسرار..

شهر يار : تبا للصفاء وكل شىء صافٍ .. لشد ما يخيفنى هذا الماء؟ ..
ويل لمن يفرق فى ماء صاف

شهر زاد : ويل لك يا شهر يار

شهر يار : الصفاء قناعها ..

شهر زاد : قناعها هى .. هى .. هى ..

شهر زاد : إنى أخشى عليك يا شهر يار ..

شهر يار : قناعها منسوج من الصفاء .. السماء الصافية .. الأعين
الصافية .. الماء الصافى .. الهواء .. الفضاء .. كل ما هو صاف .. ما بعد
الصفاء؟! إن الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء.

شهر زاد : كل البلاء يا شهر يار أنك ملك فقد آدميته وفقد قلبه ..

شهر يار : إنى براء من الأدمية .. براء من القلب لا أريد أن أشعر .. أريد
أن أعرف^(١).

يضاف إلى ذلك أنه استلهم بعض أعماله الأدبية وكثيراً من أفكاره، من
هذه الثقافة الأجنبية، وبعض الثقافات الأوربية الأخرى^(٢).

ويبدو لى، أن قراءته الكثيرة فى هذه الثقافات الأجنبية، بالإضافة إلى
موهبة الفنية، كانت وراء غزارة إنتاجه الأدبى وتنوعه بين كتابة المسرحية
بألوانها المختلفة والرواية، والقصة القصيرة والترجمة الذاتية..

(١) شهر زاد : ص ٦٦ - ٦٩.

(٢) راجع مثلاً : بجمالون، وأديب، والرباط المقدس، وبراكسا وعصفور من الشرق، وزهرة العمر،
وتحت شمس الفكر ...

وعلى الرغم من تنوع كتاباته وعزارنها. فإن قدرا كبيرا منها سمحور حول بعض القضايا الفكرية.

ولا غرابة فى هذا، فهو يؤمن بأن الفكر روح الفس^(١)

وقد صرح فى بعض كتبه بأنه كان يصدر فى هذا النوع من الكتابة الأدبية، عن فلسفة كونها لنفسه من قراءاته وتجاربه فى الحياة، وأطلق عليها اسم التعادلية^(٢).

ولا يقصد بالتعادل هنا، المعنى اللغوى لهذا اللفظ، أى التساوى، كما لا يعنى بهذا الاعتدال، أو التوسط.

ولكنه يعنى التقابل، فالقوة المعادلة، هى فى رأيه (القوة المناهضة لقوة أخرى)^(٣).

والتعادلية ظاهرة متوافرة فى كل الكائنات الحية، فى الإنسان والحيوان والنبات^(٤).

وقد لخص مضمون هذه النظرية فى خمسة مبادئ هى :

التعادل فى الوجود يقوم على الغيرية، وتعادل الفكر والعمل، والخير والشر، والعقل والقلب، وقوة التعبير، وقوة التفسير. ويذهب إلى أن التعادلية (متفقة مع الوجودية ومع الواقعية الاشتراكية، وغيرها من المذاهب، التى تركز على مسئولية الفكر فى التوجيه والتطوير. ولكنها تختلف عنها، فى أنها تدعو إلى استقلال الفكر عن العمل)^(٥).

(٢) توفيق الحكيم التعادلية ص ٢٧ - ٢٩

(٤) التعادلية ص ١٢٥ - ١٢٩

(١) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ٧٩

(٣) أحاديث مع توفيق الحكيم.

(٥) المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٦.

وقد يكون هناك تشابه ما بين التعادلية، والمعادل الموضوعى The Objective Correlative عند توماس إليوت ، حيث إنه ينشأ نتيجة التعادل، بين قوتين متقابلتين مثل الحقائق الخارجية والوجدان، أو الموضوع والإحساس^(١).

ومع هذا فهناك فارق كبير بينهما، يكمن فى أن تعادلية الحكيم، تعد مذهباً شاملاً، فى الفن، والفكر، والحياة.

أما المعادل الموضوعى، فمجاله الابداع الفنى، والنقد الأدبى، ويمكن عن طريقه وسم العمل الفنى بقدر كبير من الموضوعية.

ومهما يكن من أمر فإن هذا المنحى الفكرى، لا يقتصر على الأدب الأبداعى لتوفيق الحكيم، بل يتعدى ذلك إلى الوجه الآخر لهذا الأدب، أى النقد الأدبى.

فصاحبنا لم يكن أديباً وحسب، بل ناقداً أديباً كذلك، ويتمثل هذا الجانب النقدي عنده، فى مناقشته لأهم القضايا التى تتصل بالنقد الأدبى، والأدب وفنونه، واتخاذها موقفاً نقدياً إزاء كل قضية.

ومن هذه القضايا، قضية النقد والأثر الأدبى.

ويتلخص موقفه من هذه القضية، فى أن هناك صلة عضوية، بين طرفى هذه القضية المتقابلين.

فالنقد هو النافذة التى بطل منها الأثر الأدبى على الحياة والمجتمع وبدون هذه النافذة، يختنق الأثر الأدبى ويفقد حياته .

(١) فائق متى - إبيرت ص ٢٦ ط : دار المعارف بمصر.

ويتضح هذا من قوله (فالأثار الأدبية بغير نقد بنائى، يربط بين أجزائها، واتجاهاتها لا يمكن أن تصنع أدبا بالمعنى المعروف فى الآداب الكبيرة).

فمن الجائز أن تنبت قصيدة شعرية رائعة بين الزوج فى غابة من الغابات .. ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن أدب الزوج، إلا إذا وجد النقد الذى ينظم آثار هؤلاء القوم، ويكشف عن مصادرها، وأهدافها، واتجاهاتها^(١).

والواقع أن صلة الأدب بالنقد، تشبه فى رأى هذه الصلة بين المنتج للسلعة، والمستهلك لها.

فكلاهما فى حاجة إلى الآخر، وحياة كل منهما، مرتبطة بحياة صاحبه، أوثق ارتباط.

فلا حياة للأثر الأدبى، بدون ناقد يقومه، ويعرف الناس به، ولا حياة للنقد، فى دنيا تخلو من الأثار الأدبية.

وعلاوة على ذلك، فإن الأدب والنقد، يشتركان فى صفة الإبداع فالأديب والناقد، كلاهما مبدع.

لذا يرى بعض النقاد، أن النقد فن، على حين يرى آخرون أنه علم.

وأنا أميل إلى تأكيد القول، بأنه فن وعلم يمتزج فيه العقل بالوجدان.

فالعقل يفسر ويعلل، والوجدان يتذوق، ويفضى بالأسرار الجمالية للأثر الأدبى.

وعلى هذا، فالنقد الأدبى، تفسير وتحليل وتقويم للأعمال الأدبية.

(١) فن الأدب ص ٢٢.

وإلى هذا يذهب توفيق الحكيم. يقول موضحاً مهمة الناقد، والمنهج الذى يتبعه فى نقده للأثر الأدبى (ولعل خير منهج للناقد أن يجمع فى نقده بين شتى الاعتبارات، ويؤلف بين مختلف النظرات، فيختار الأثر من بين مختلف الآثار، بذوقه كاشفاً عن نواحي جماله، ثم يحلله بغربال علمه، فيخرج لنا ما أنطبق منه على الأصول، وما لم ينطبق.

فإذا فرغ من ذلك، بقى أمامه، الشطر الأجل من عمله النقدي وهو تقويم الأثر، بقيمته فى المحيط الأدبى، أو القومى أو الإنسانى، وطبعه فى مكانه من خانة النوع، ومقارنته بالسابقين فى ذلك السجل، مبيناً مدى تأثيره إياهم، ومبلغ اتفاقه معهم فى المذهب، واختلافه عنهم فى المسلك^(١).

ولا تقف مهمة الناقد فى رأى توفيق الحكيم، عند انتقاء الأثر الأدبى، وتحليله ثم تقويمه، ولكنها تتعدى ذلك إلى مقارنته، بغيره من الآثار الأدبية السابقة عليه، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

ويضيف أصحاب النقد الأيديولوجى إلى مهام الناقد، مهمة أخرى، وهى توجيه العمل الأدبى^(٢).

لكن كيف يتسنى للناقد القيام بواجبه على الوجه الأكمل؟؟

يرى توفيق الحكيم أن هذا لا يتأتى، إلا إذا تجرد الناقد من نوازعه الشخصية، وتحلى بالموضوعية، والحيدة التامة إزاء الأثر الأدبى الذى يتقده.

(١) توفيق الحكيم : فن الأدب ص ٢٠.

(٢) محمد منور : النقد والنقاد المعاصرون ص ١٩٧ وكذا محمد غنيمى هلال النقد الأدبى الحديث

ص ٢٢٢ ط : نهضة مصر ١٩٧٢م.

ويبدو هذا واضحا من قوله (ذلك أن الناقد يجب أن يحكم على الأثر الأدبي أو الفنى بناء على قيمته الذاتية، لا بما يمليه عليه مزاجه الخاص.

فالناقد الذي يكره مثلا شعر المديح، إما أن يمتنع عن نقد قصيدة فى المديح، وإما أن يتجرد من بغضه للنوع ويزنها بميزانها فى نوعها)^(١).

والواقع أن موقف الناقد من الأثر الأدبى موضع جدل كبير بين النقاد، فمنهم من يرى أن النقد عماده الذوق الشخصى، ومن ثم فالناقد ذاتى subjective، ومنهم من يرى أن الناقد موضوعى objective. وإلى هذا يذهب كثير من النقاد الأوربيين^(٢).

ومع تقديرنا لهذا الموقف النقدى، فإننا نرى أن تحلى الناقد بالموضوعية المطلقة، أمر يصعب تحقيقه.

فمهما حاول الناقد أن يكون موضوعيا، فإنه لا يستطيع أن يتجرد تجرداً تاماً من ذاته، وذوقه الشخصى.

وعلى رأى أحد النقاد الفرنسيين إن التأثيرية (تغلب علينا فى أحكامنا النقدية، وعلى هذا لا ينبغى أن نتجاهل العنصر الذاتى فى النقد)^(٣).

ويرى الأديب الناقد محمد حسين هيكل، أن النقد الموضوعى لا يخلو من مسحة ذاتية^(٤).

ومن ثم، فالأقرب إلى الصواب، القول بأن النقد مزيج من الذاتية والموضوعية.

(١) توفيق الحكيم : فن الأدب ص ٢٤.

(٢) محمد حسين هيكل - فى أوقات الفراغ ص ٩ ط : الثانية.

(٣) لانسون-منهج البحث فى تاريخ الأدب، المنشور ضمن كتاب النقد المنهجي لمحمد مندور ص ٢-٤.

(٤) فى أوقات الفراغ ص ١٠.

ومن القضايا التي تتصل بالآثر الأدبي وصاحبه قضية الخلق الأدبي وقد استأثرت هذه القضية باهتمام توفيق الحكيم. ومن أهم ما شغل به في هذه القضية. مفهوم هذا المصطلح الأدبي، فماذا تعنى كلمة الخلق الأدبي عنده؟؟

يبدو أنه لا يقصد بذلك الابتكار المطلق، بل الابداع على هدى من أصل سابق عليه.

ويتضح هذا من قوله (ليس الابتكار في الأدب والفن، أن تطرق موضوعا، لم يسبقك إليه سابق، ولا أن تغير على فكرة، لم تخطر على بال غيرك إنما الابتكار الفنى والأدبي، هو أن تتناول الفكرة، التي قد تكون مأثوفة للناس، فتسكب فيها من أدبك وفنك، ما يجعلها تنقلب خلقا جديدا، يبهر العين ويدهش القلب)^(١).

وعلى هذا فالخلق الأدبي يرجع إلى الصياغة، وليس إلى الفكرة في حد ذاتها.

ويتفق توفيق الحكيم في هذا الرأي وبعض فلاسفة الجمال، مثل كروتشه الذى يرد الابداع فى الأدب والفن، إلى الصياغة، التي يتحد فيها الشكل بالمضمون ويمتزجان معا^(٢).

وإلى هذا يذهب بعض نقادنا القدماء.

ومن حججهم فى ذلك، أن الموضوع الواحد، قد يتناوله أديبان، ولكنهما يتباينان فى التعبير عنه، فيبدو تناول أحدهما له، أجود فنيا من تناول الآخر

(١) فن الأدب ص ١٢

(٢) محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث ص ٣١٧

ومرد هذا، إلى جودة صياغة هذا، عن صياغة الآخر^(١).

وأبعد من هذا، فقد يتناول الأديب معنى فاحشا، ولكنه يحسن التعبير عنه، فيبدو من تناوله معنى جيدا، وهذا بفضل حسن صياغته له^(٢).

ومن ثم، فالإبداع الأدبي يرجع في كثير من الأحيان إلى المبدع، الذي يشكل مادة الإبداع، ويخلق منها فنه، ولا يكتسب هذا الفن صفته الأدبية، إلا أحدث أثرا في المتلقى سواء عن طريق الشكل، أم عن طريق المضمون ومصداقا لهذا قول توفيق الحكيم (إن الأثر الفني الكامل في نظري، هو الذى يحدث فينا، ذلك الشعور الكامل فى الارتفاع، وقلما يحدث هذا إلا عن طريق السمو فى اللب والأسلوب)^(٣).

وعلى هذا، يرد توفيق الحكيم هذه الظاهرة إلى متقابلين وهما الشكل والمضمون، وإلى المبدع والمتلقى.

وتبدو الصياغة الفنية عاملا موحدًا بين هذه المتقابلات.

وعلى هذا النهج يمضى فى تطبيق تعادلته، على بعض قضايا النقد الأدبي، كقضية الأدب والفن. حيث يضع كلا منهما مقابلا للآخر، محدثا نوعا من التعادل بينهما، ينتهى بالتقائهما معا.

ويوضح هذه الحقيقية قوله (الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة، الحامل، الناقل لمفاتيح الوعى... والفن هو المطية التى تحمل الأدب خلال الزمان والمكان والأدب بغير فن، رسول بغير جواد، فى

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ص ٤٢٣ ط: تحقيق شاكر.

(٢) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ص ٢١ ط: الثالثة - الخانجي.

(٣) فن الأدب ص ٧٨.

رحله الحلو، والفن عبر أدب مطبوع سدسه عبر حمل ولا هدف^(١)

والواقع ان صلة الأدب بالفن على النحو الذى يبصيح من هذا البصر بعد صلة عضوية كصلة الروح بالجسد. والشكل بالمضمون فالفن جسد. والأدب روح

ومن التقاء هذين المتقابلين، ينشأ الفن الأدبى، ثمرة من ثمار التعادل بينهما

وكما وضع الأدب مقابل الفن. وضع الفن مقابل الدين معتقدا أن هناك صلة تجمع بينهما، وهى القوة المناهضة للقوتين المتقابلتين فى تعادليته ومما يوضح هذا قوله (هناك صلة فى اعتقادى بين رجل الفن ورجل الدين

ذلك أن الدين والفن، كلاهما، يضى من مشكاة واحدة هى ذلك القبس العلوى. الذى يملأ قلب الإنسان، بالراحة والصفاء والإيمان. وأن مصدر الجمال فى الفن، هو ذلك الشعور بالسمو الذى يعمر الإنسان عند اتصاله بالأثر الفنى من أجل هذا كان لابد للفن أن يكون مثل الدين قائما على قواعد الأخلاق هذا رأى. ولكن ليس رأى المشتغلين بالفن).

أما رأى المشتغلين بالفن فيتلخص فى قولهم (إن الفن يجب أن يتحرر حتى من الأخلاق، لأن الجمال فى الفن، ينبع من الاتقان وأن الاجادة فى تصوير الدمامة والرذيلة، لا تقل فضلا عن الاجادة فى تصوير الحس والفضيلة)^(٢)

(١). من الأدب ص ٧٦

(١) مقدمه كتاب من الأدب

(٢). المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢١٦

ولا تقتصر تعادلية الحكيم هنا على التقاء الفن والدين، في المنبع والغاية، ولكنها تتجاوز ذلك إلى تقابل المقياس الخلقى والمقياس الفنى، فى تقويم الأعمال الأدبية.

وتبدو هذه التعادلية واضحة فى مناقشة قضية الالتزام فى الأدب والفن، حيث يضع فى مواجهة الالتزام حرية الأديب فيقول (إن الأديب يجب أن يكون حراً، لأن الأديب إذا باع رأيه، أو قيد وجدانه، زهبت عنه فى الحال صفة الأديب، فالحرية هى نبع الفن، ويغير حرية لا يكون أدب ولا فن.

... إنما التزام الأديب أو الفنان شىء ينبع حراً من أعماق نفسه، فإن لم ينبع الالتزام حراً، من قلبه وبيئته وعقيدته، فلا تلزمه أنت، ولا تلزمه قوة فى الوجود^(١).

وعلى الرغم، مما يبدو من تعارض بين الالتزام وحرية الأديب فإن توفيق الحكيم، لا يرفض الالتزام فى الأدب والفن إذا صدر عن اختيار حر، لا عن إكراه وإلزام.

وعلى هذا فالالتزام يرجع أساساً إلى الأديب، لا إلى الأدب نفسه.

وإذا وقف الأديب هذا الموقف، فإن هذا سينعكس على أدبه، ويصبح أدباً ملتزماً.

والالتزام بهذا المفهوم يعد ظاهرة قديمة «فالشاعر فى المجتمع البدائى ولد ملتزماً بالدفاع عن القبيلة مشيداً بفضائلها، ولم ينسلخ تفكيره عن تفكير قبيلته، ولم يأخذ فى التعبير عن أفكاره الفردية ومشاعره الشخصية إلا عندما بدأ المجتمع يتطور نحو التعقيد»^(٢).

(١) المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢١٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨.

ومن ثم، فقد ينشأ الالتزام في بعض المجتمعات التي تعتنق فكرة من الأفكار، أو عقيدة من العقائد، التي تترك أثرا بعيد المدى في نفوس الناس. ويستشهد على هذا بالعقيدة الإسلامية، والالتزام ببعض الشعراء بالدفاع عنها، مثل حسان بن ثابت.

ومما يدل على صحة ذلك إشارة بعض النقاد العرب، مثل الأصمعي إلى أن شعر حسان بن ثابت في الجاهلية، أجود من شعره بعد الإسلام. وعلل هذا باتجاه شعره في الإسلام نحو باب الخير.

يقول (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر.. وغيرهم لان شعره.

وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار، والرُّحْل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر، والخيول والحروب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان^(١).

ونحن نتفق مع هذا الناقد في الحكم، ولكننا نختلف معه في التعليل، فصحيح أن شعر حسان في العصر الإسلامي أقل جودة من شعره في العصر الجاهلي. أما تعليل ذلك باتجاه شعره في الإسلام إلى الموضوعات التي تتصل بالخير، لا إلى موضوعات الشر، التي هي أصل الشعر في رأي الأصمعي، فهذا التعليل غير صحيح من وجهة نظري.

(١) المرزباني - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ص ٧٩. تحقيق الجاوي ط : دار الفكر العربي - القاهرة.

أما التعليل الأقرب إلى الصحة في رأى. فأوجز ما يقال عنه هو أن حسان بن ثابت كان في الجاهلية شاعرا حرا طليقا. من أى التزام عقدي أو خلقى، يقول الشعر في أى موضوع يعن له، أما في الإسلام. فقد قيدت حريته، حيث التزم في شعره بالقيم الإسلامية والموضوعات التى تتفق وهذه القيم، ولم يخرج على هذا الاطار الإسلامى، ومن ثم، أثر هذا على إبداعه الفنى، وصياغته الشعرية فبدت أقل جودة من صياغته في الجاهلية.

ولم تقف جهود توفيق الحكيم فى النقد عند هذا الحد، بل تعدت ذلك إلى مناقشة بعض القضايا التى تمس فنون الأدب شعرا ونثرا.

مثل الشعر ومحاكاة الطبيعة، وهذه القضية هي أساس نظرية المحاكاة الأرسطية، التى تذهب إلى أن الشعر فن يحاكي الطبيعة مثل أى فن من الفنون الجميلة.

ومعنى المحاكاة هنا، تصوير الطبيعة أو جانب منها، خلال وجدان الشاعر^(١)، أى هى رؤية وجدانية للطبيعة أو الحياة.

وهذا ما دعا الناقد الرومانى فى هوراتيوس إلى القول بأن الرسم شعر صامت، والشعر رسم ناطق^(٢).

ومن ثم، شاع القول بين النقاد الكلاسيكين الذين تبنا نظرية المحاكاة الأرسطية، بأن الشعر تصوير للحياة.

ولكن توفيق الحكيم لا يتفق مع هؤلاء النقاد فى هذا الرأى ويذهب إلى أن الشعر، ليس تصويرا للحياة.

(١) أرسطو - فن الشعر ص ٧١ - ٧٢ ترجمة عبد الرحمن بدوى

(٢) إحسان عباس - فن الشعر ص ١٦

فهناك فنون أخرى غير الشعر، تصور الحياة كالنثر والسينما والمسرح وإنما الشعر في رأيه (انعكاس الحياة على نفس الشاعر فالشاعر مثل القمر، لا يعطينا الحياة في أشعتها المحرقة ووهجها الذي يعمى البصر، ولكنه يتلقى بعض أشعتها ويصفيها خلال نفسه، ويعرضها علينا بعد ذلك ضوءاً جميلاً منظماً)^(١).

ويناء على هذا فالشاعر، لا ينسخ الطبيعة، ولا ينقل لنا ما يشاهده منها كما هو، بل ينقل وقع ما يشاهده على أحاسيسه ومشاعره.

ومصادقا لهذا، قول المازني عن الشاعر إنه (لا يصور الشيء كما هو، ولكن كما يبدو له، ولا يرسم منه هيكله العريان بل يخلع عليه من حلل الخيال، بعد أن يحركه الأحساس)^(٢).

ويبدو من فحوى قول المازني، وتوفيق الحكيم أن الشعر ليس تصويراً للحياة أو الطبيعة، بل تعبيراً عن إحساس الشاعر بهما.

وهذا يمثل وجهة نظر الرومانسيين في هذه القضية التي يلخصها قول ورد نورث «إن الشعر فيض تلقائي لعواطف إنسانية»^(٣).

حيث إنه ينبع من داخل الإنسان، لا من خارجه. إذ يبدو عند هؤلاء النقاد فنا لغويا يعبر عن عاطفة الشاعر ومشاعره، وليس تصويراً للطبيعة أو الحياة كما يرى الكلاسيكيون.

وعلى أية حال، فإن منحى توفيق الحكيم في مناقشة هذه القضية يقوم

(١) فن الأدب ص ٢١٢.

(٢) المازني - الشعر غاياته ووسائله ص ٥٩ تحقيق منحة الجيار.

(٣) إحسان عباس - فن الشعر ص ٢٩.

كما رأينا على إبراز، رأيين متقابلين فى مفهوم الشعر وهما : الشعر تصوير، أو الشعر تعبير، مرجحا أحدهما على الآخر.

ولا شك أن أثر تعادليته واضح فى هذا المنحى .

وثمة قضية أخرى تمس مستقبل الشعر، فى مواجهة طغيان العلم على شؤون الحياة المعاصرة والمجتمع، أثارها توفيق الحكيم، مطبقا فى دراسته لها منحاه السابق.

وخلص القول فيها، أن الشعر فى العصر الحديث يعانى من أزمة تهدد حياته، وأنه آخذ فى الضعف والاضمحلال.

ويرجع سبب ذلك إلى أن الشعر فن راق، يعلو على مستوى فهم العامة من الناس، لذا لا يقبل عليه إلا الخاصة وهم قليلون.

يقول «والشعر خلاصة الثقافة، وعصارة الذوق فهو لذلك فن مركز، يضغط فى أبياته القليلة، ما يوحي بالكثير إلى أصحاب الأفهام.

إنه ليس كالنثر، إسهاب وإيضاح، يفرغ فى رءوس الناس ما يريد من كلام، وثرثرة ومعلومات^(١).

لذا يرى أن سهولة النثر تدفع الناس إلى الاقبال عليه والابتعاد عن الشعر.

وقد يحظى النثر بشيء من الرقى فى الصياغة والتعبير والسمو الفكرى، وبهذا يقترب من الشعر، وهذا اللون من النثر، لا يستسيغه القارئ العادى وقد يحكم عليه بالفناء.

(١) فن الأدب ص ٢١٧.

والواقع أن هذه القضية، لا تختص بالشعر العربى وحده، ولكنها قضية عامة، تمس شعر كل الأمم والشعوب التى تأثرت بالحضارة الأوربية الحديثة وانطبعت بطابعها العقلى والمادى.

وكادت تطغى على الحياة الوجدانية، ومظاهرها الفنية كالشعر، الذى لم يعد يقوى على مواجهة الغزو العلمى للحياة المعاصرة.

لذا تنبأ بعض المفكرين والنقاد الأوربيين بزوال الشعر وسقوط دولته^(١). وعلى العكس من هذا يرى بعضهم، أن الشعر باعتباره فنا من الفنون الجميلة، يعد ضرورة، من ضرورات الحياة المعاصرة، ولا يمكن لأى عالم أو مفكر الاستغناء عنه^(٢)، لأنه يجدد النشاط الذهنى ويقوى حاسة التخيل وملكة الابداع عند العلماء والمفكرين والأدباء.

وعلى أية حال، فإن اهتمام الحكيم بمستقبل الشعر على النحو الذى رأينا، يرجع إلى إحساسه بقيمة هذا الفن الأدبى الذى يعد فى رأيه، خلاصة ثقافة الشعب الذى ينتمى إليه وعصارة نوقه، ويعد معجزة فنية (لأن آلاف الأفكار، والصور والأخيلة، والمشاعر، يجمعها الشاعر فى سطر واحد.

هذا السطر العجيب الذى تراه ينتفض وأنت تقرأه بهذه الآلاف من الأفكار والمشاعر والصور.

... إن بيت الشعر الواحد يشبه طاقة مسحورة صغيرة تطل منها النفس على الوجود البشرى، بتجاربه وأفراحه ومعانيه^(٣).

(١) ستالى هايمن : النقد الأدبى الحديث ومدارسه ص ٤٤-٤٥ الحديث ص ٣٩ ط : الثانية.

(٢) رتشاريز - العلم والشعر (المقدمة) ترجمة مصطفى بوى.

(٣) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ٣٦.

وليس هذا، هو رأى توفيق الحكيم وحده، بل رأى معظم النقاد، قديما وحديثا .

إذ يردون جمال الفن الشعري، إلى لغته التي تتسم بالايجاز والتركيز، والدلالة غير المباشرة في التعبير^(١). ومصدقا لهذا قول البحترى :

والشعر لمح تكفى إشارته . . . وليس بالهذر طولت خطبه^(٢).

وتتصف المسرحية في رأى توفيق الحكيم ، بكثير من الصفات التي يتصف بها الشعر، كاليجاز والتركيز بنوع خاص.

ويتضح هذا من قوله (للمسرحية عندي اعتبار خاص، ذلك أن الحوار، بما فيه من إيجاز وتركيز، هو قالب الأدبي القريب إلى سليقتي، المحبة للنظام.

فالفن عندي نظام، والنظام عندي هو الاقتصاد أى البيان، بلا زيادة أو نقصان)^(٣).

وقوله معليا من شأن العنصر الشاعري في المسرحية سواء أكانت مكتوبة في قالب شعري، أم قالب نثري (لاشك أن العنصر الشاعري يزيد من قوة المسرحية وجمالها، لأنه الشيء الزائد عن إطارها المادى، وحتى المسرحية الواقعية أو الفكاهية ، أو أى نوع مسرحى آخر، لا يفترض فيه وجود الشاعرية، إذا تضوعت منه رغم واقعيته أو هزله وضحكه رائحه شعرية، فإن ذلك يزيد قطعاً من القيمة الأدبية والفنية للمسرحية)^(٤).

(١) ناقشت هذا الموضوع بإفاضة في كتابي «من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم راجع الفصل الرابع (لغة الشعر) ص ١٢٢ - ١٤٤ ط : الثالثة ، الناشر : دار المعرفة الجامعية.

(٢) ديوان البحترى ج ١ ص ٢٠٩ ط: دار المعارف بمصر.

(٣) فن الأدب ص ١٤٣.

(٤) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ١٤٥.

وهذا يفسر لنا، سر هذه الشاعرية، التي تفوح رائحتها في مسرحياته
النثرية، بالرغم من اتسام مسرحه بطابع فكري.

ومصادقا لهذا قوله (مسرحى فكري حيث إنه يقوم على أفكار، ويمكن أن
نعتبره عقليا وهو بالضرورة رمزي، لأن الرمز ما هو إلا أنعكاس لعمومية
الفكر، التي تقوم عليها المسرحية.

وهذه الفكرة يتعدى مفهومها حدود ووقائع الشخصية وصفاتها، فهي
ليست فكرة أحد الناس، ولكنها رمز لطابع بشري شامل^(١).

ومن هذه الأفكار، التي يقوم عليها هذا المسرح الذهني، الصراع بين
الإنسان والزمن، الذي أقام عليه بعض مسرحياته مثل أهل الكهف، ورحلة
الغد، وعودة الشباب^(٢).

والصراع بين القوة والقانون، الذي بنى عليه مسرحية السلطان
الحائر^(٣).

وكذلك الصراع بين الفن والحياة، الذي صورته في مسرحية بجماليون^(٤).
ولا تقتصر ذهنية هذا المسرح على موضوع المسرحية، ولكنها تتضمن
كذلك الشخصيات التي يبتكرها عقل توفيق الحكيم.

وهذه الشخصيات لا تنطبق على أفراد بعينهم، ولكنها نماذج بشرية،
تمثل بعض أفراد المجتمع.

(١) المرجع السابق من ١٠٨.

(٢) محمد مندور - مسرح توفيق الحكيم من ٤٢ - ٦٠. راجع نصوص هذه المسرحيات، أهل
الكهف، ورحلة الغد، وعودة الشباب.

(٣) راجع نص مسرحية السلطان الجائر.

(٤) راجع نص مسرحية بجماليون.

يقول (والشخصية عندي نمط شامل، هو وليد العقل لا النقل من بين عامة الناس).

الشخصية عندي شاملة من حيث إنها تمثل جمهرة كبيرة من الناس وتتكلم بلسانهم.

فمشيلينا بطل أهل الكهف، لا يتميز بصفات ينفرد بها عن سائر الناس، وإنما هو يمثل الناس في مواجهتهم ومقاومتهم للزمن، ونضالهم بأمل تحقيق الحياة خارج الزمن، أي الخلود^(١).

ويفرق ناقدنا بين رسم الشخصية في القصة أو الرواية، ورسمها في المسرحية.

فالقاص أو الروائي، هو الذي يصنع الشخصية، ثم ينسج حولها الأحداث والمشكلات، بينما تنشأ الشخصية في المسرحية من المشكلة أو القضية التي تتناولها المسرحية.

ومرد هذا، إلى أن المسرح في جوهره قضية، أو مشكلة، وليس حكاية، أو سردا للأحداث، كالقصة أو الرواية.

وعلى هذا يقول (فمن يريد أن يحكى حدوته، ويعرض حياة، فليكتب قصة أو رواية).

لكن ما يعرض على مسرح، هو مشكلة، أو قضية منها، تتبع رؤيا الحياة، وتتكون ملامح الشخصيات.

ثم يفرق بين الكاتب المسرحي، والقاص، فيرى (أن الكاتب المسرحي

(١) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ١٠٩.

يبدأ من القضية إلى الحياة، بينما القاص أو الروائي، يبدأ من الحياة إلى القضية، التي قد توجد في روايته وقد لا توجد^(١).

ومن ثم ، فالكاتب المسرحي، قريب في نهجه من الفيلسوف أو المفكر الجدلي، الذي ينطلق في تفكيره من قضية كلية محاولا تطبيقها على حالات جزئية.

بينما يعد القاص قريبا في نهجه، من نهج العالم الذي يبدأ في دراساته وبحوثه، من الحالات الجزئية، محاولا الوصول منها إلى قانون عام، أو قضية كلية.

وتعد هذه المقابلة بين القاص والكاتب المسرحي، وبين المسرحية والقصة مظهرا من مظاهر تعادلية توفيق الحكيم.

وتنتهي هذه التعادلية بين هذين الفنين إلى تفضيله المسرحية على القصة.

وربما يرجع هذا في رأيه، إلى عدم اهتمام بعض كتاب القصة بتناول الموضوعات الإنسانية، وخاصة أصحاب الاتجاه الواقعي الذين يعنون، بتصوير الواقع الخارجي، بون الكشف عن أعماق الحياة، ونوازع الإنسان، وبواخل النفس البشرية.

لذا يرى إخراج هذا اللون القصصي من دائرة الفنون الأدبية.

يقول (والأدب من ناحيته، سوف يرى أنه غير مستطیع أن يعمل طليقا في أجزائه العليا، وهو مرتبط بالقصة ...

(١) المرجع السابق ص ١١٢

لقد أراد أن يستعين ببيريقها وتشويقها في اجتذاب الناس ولكن الناس ما إن يروا قصة تافهة القيمة، محبوكة الصنعة حتى يندفعوا إليها، متحمسين صائحين هذه هي الحياة وينصرفوا بجموعهم عن القصة الأخرى التي تطوى في أعماقها الحياة الحقيقية، تلك التي غاص لها الأدب والفكر ضجرين قائلين ، ليست فيها حياة.

ذلك أن الحياة عندهم، هي التي يدونها فقط بعواطفهم السطحية، جاهلين أن الحياة في الأدب والفن، ليس معناها السطحية في النظر إلى الحياة^(١).

وعلى الرغم من تحامل ناقدنا على القصة على النحو الذي أشار إليه فإنها تكاد تستحوذ في الأدب الأوربية الحديثة على سائر الفنون النثرية^(٢).

وقد طغت في العصر الحديث على كثير من فنون الأدب العربي حتى إنها غزت الشعر، وتسابق كبار الشعراء في نظمها شعرا^(٣).

يضاف إلى ذلك، أنها تعد أقرب نوع أدبي إلى واقعنا الاجتماعي^(٤)، وأكثر الفنون الأدبية تعبيراً عن قضايا مجتمعنا المعاصر ومشكلاته.

ويظهر أن تحامل ناقدنا على القصة مرده إلى أن أصولها الفنية لم تكن قد رسخت في الأدب العربي آنذاك.

ولذا فقد كانت المشكلة التي استحوذت على تفكيره، وهو بصدد دراسة هذا الموضوع، هي هل تعد القصة فناً أدبياً؟؟

(١) فن الأدب ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) محمد حسين هيكل ثورة الأدب ص ٦٧.

(٣) عثمان موفى، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث ص ٧٨ - ٩٤.

(٤) شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ص ٢٢٦.

وبهذا يضع باقدنا القصة فى ناحية، والأدب فى ناحية أخرى بحيث
يواجه كل منها الآخر

ومن ثم تبدو تعادلية توفيق الحكيم، وتنتهى إلى تصور حدوث زواج بين
هذين الفنين، ولكن هل ينتهى هذا الزواج نهاية سعيدة، أو يحكم عليه
بالفشل؟؟

وقد لخص هذا الموقف فى قوله (أليس من الجائز أن يتم زواج بين
الأدب والقصة؟ ما من ريب فى أن هذا شأن الحدوث، غير أن هذا الزواج،
شأنه شأن كل زواج كثيرا ما ينتصر فيه طرف على طرف، ويتغلب طبع على
طبع فإذا تغلب الأدب، فنحن أمام فن ناقص، وإذا تغلبت القصة فنحن أمام
فن رخيص.

أما إذا حدثت المعجزة، وتم التوازن التام فى هذه الزوجية الموفقة ...
وتمشى الأدب فى القصة، فنحن إذا أمام معجزة فى الفن^(١).

والواقع أن توفيق الحكيم قد حقق هذه المعجزة فى بعض أعماله الروائية
مثل عودة الروح، كما تحقق هذا فى كثير من روايات نجيب محفوظ^(٢)،
وبعض قصص رواد القصة القصيرة فى الأدب العربى الحديث، مثل محمود
تيمور ويحيى حقى، ويوسف إدريس.

وبناء على هذا، لا تقف تعادلية توفيق الحكيم عند حد التقابل بين طرفى
هذه القضية، الأدب والقصة، بل تتجاوز ذلك إلى التقاء الطرفين فى نقطة
واحدة، واتحادهما معا بحيث يصبحان شيئا واحدا.

(١) فن الأدب ص ٢٢٢ ٢٣

(٢) مثل الثلاثية، وبدابة ونهاية، ورفاق المدق، والشحاذ واللص والكلام

وهنا تنتهى التعادلية إلى نتيجة ايجابية، وهذا على عكس ما رأينا فى كثير من القضايا السابقة.

وصفوة القول أن تعادلية توفيق الحكيم، التى تعد خلاصة فكره وفلسفته فى الحياة، تطل برأسها على كثير من أعماله الأدبية، وفكره النقدى، بحيث يمكن اتخاذها مفتاحاً، لفهم فكره، وتفسير إبداعه الأدبى، ومواقفه النقدية.